دور العرب الهلالية في الجهاد في بلاد المغرب والأندلس حتى نهاية القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي

دكتور/ وليد على محمد السيد الطنطاوي

كان قدوم قبائل بني هلال وبني سليم إلى المغرب من مصر في منتصف القرن الخامس للهجرة الحادي عشر للميلاد، على أثر القطيعة التي حدثت بين صاحب إفريقية الأمير الزيري المعز بن باديس وبين الخليفة المستنصر الفاطمي في مصر(١). وسرعان ما اجتاحت قبائلهم سائر إفريقية بعد الهزيمة الكبرى التي ألحقها الهلاليون بجيش المعز بن باديس في وقعة جبل حيدران سنة ٤٤٤ هـ / ١٠٥٢ م، وأقام رؤساؤها إمارات مستقلة لهم في قابس وصفاقس والقيروان وباجة وقرطاج وبنزرت. أما المعز بن باديس، فقد انتقل من القيروان إلى المهدية، ولم تعد سلطته تتجاوز الشريط الساحلي القريب منها(٢).

---

(١) ابن عذاري: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ليفي بروفنسال، الطبعة الثالثة، الدار العربية للكتاب، بيروت، ١٩٨٣م، ج١ ص٣٧٥؛ المقريزي: اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، تحقيق د. محمدحلمي احمد، طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، الطبعة الأولى ١٩٩٦م ج٢ص٩٢، ابن أبي دينار: المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، تحقيق محمد شمام، المكتبة العتيقة، تونس، الطبعة الثالثة، ١٩٩٣م، ص٨٤، ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٩٩٢م، ج٦ص١٦، ابن الشماع: الأدلة البينة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية، الدار العربية للكتاب، طرابلس،١٩٨٤م، ص١٣٧.

(٢) التيجاني: الرحلة، دار الفرجاني، طرابلس، ليبيا، (د.ت)، ص ٣٣٠؛ النويري: نهاية =

لقد كان لقدوم العرب الهلاليين إلى المغـرب آثـار سياسـية واقتـصادية واجتماعية[1] وعنصرية ولغوية عميقة في كافة أقطار الشمال الإفريقي، إلا أننـا في بحثنا هذا سوف نقصر الحديث عن دورهم في الجهاد ضد الروم دفاعا عـن أرض الإسلام والمسلمين، مما يدحض التهمة التي نسبها بعض الباحثين المحدثين لهذه القبائل من ضعف شعورها الديني[2].

جهاد الهلاليين في إفريقية:

لم تحُل سوء العلاقات بين رؤساء قبائل بني هلال وبين الأمراء الزيـريين دون مبادرة هذه القبائل الوافدة إلى المشاركة في التصدي لغزوات الروم علـى مدن ساحل إفريقية، ففي عام ٤٨١ هـ/ ١٠٨٨م، هاجم أسطول جنوي بيـزي كبير عاصمة الزيريين المهدية وضاحيتها زويلة، فطلع جنود الروم إلـى البـر، ونهبوا وخرّبوا وأحرقوا ودخلوا زويلة ونهبوها، وكانت عساكر الأمير تميم بـن المعز غائبةً عنها في قتال الخارجين عن طاعته، ثم صالحهم تميم على ثلاثـين

=

الأرب في فنون الأدب، تحقيق د. حسين نصار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الأولى،١٩٨٣، ج٢٤ ص ٢١٤- ص٢١٧.

(١) د. حسن علي حسن: الغزو الهلالي للمغرب أسبابه ونتائجه، المجلة التاريخية المصرية، العدد (٢٤) سنة ١٩٧٧م، ص ١٠٣- ١٥٣؛ د. طاهر راغب حسين: دور القبائل العربية بالمغرب العربي منذ المسيرة الهلالية حتى نهاية حكم الموحدين، دكتوراه غير منشورة، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، ١٩٧٩م، ص٢٢٣-٢٤٣؛ وقارن الفرد بل: الفرق الاسلامية في الشمال الافريقي من الفتح العربي حتى اليوم، ترجمة عبد الرحمن بدوي، طبعة دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة ١٩٦٩، ص٢١١.

(٢) ألفرد بل: الفرق الاسلامية في الشمال الافريقي ص٢١١.

ألف دينار بشرط أن يردوا جميع السبي ففعلوا ذلك ورجعوا[1]. وكان للقبائل الهلالية دور في التصدي للمغيرين على المهدية حيث تدفقوا نحو الساحل وملأوا الشاطئ وأوقعوا هزيمة ببقية البيزيين الذين كانوا يحرسون المرسى[2]، ولقد كانت البابوية دون شك وراء هذه الحملة التي سبقت أولي الحملات الصليبية في المشرق بعشر سنوات.

إن نجاح حملة الروم على المهدية كان لعدة أسباب أوردها التيجاني، من أهمها "غيبة عسكر السلطان عن المهدية ومفاجأة الروم دون استعداد لهم، وأخذ أهبة للقائهم، وخلو كافة الناس من الأسلحة والعدد، وقصر الأسوار وتهدمها وسوء رأي متولي تدبير البلد"، فضلا عن ضخامة الحملة التي كانت تضم بين ٣٠٠ و٤٠٠ قطعة بحرية [3].

وكان للقبائل العربية دور مرموق في الهزيمة التي ألحقت بالنورمان في جزيرة الأحاسي وحصن الديماس قرب المهدية في صيف عام ٥١٧ هـ/ ١١٢٢م، فعندما نزل قسم كبير من عسكر النورمان إلى البر بجزيرة الأحاسي تصدت لهم طائفة من العرب والأجناد "وكشفوا من كان بها من الروم عن مواضعهم، وقتلوا منهم قوما وانتهبوا بعض أسلحتهم". وأحاط العرب بقصر الديماس – وكان قد اعتصم به نحو مائة من جند النورمان– إلى أن نفد ما في

---

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، تحقيق د. محمد يوسف الدقاق، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٨٠، ج٨ ص٤٥٥؛ النويري: نهاية الأرب ج٢٤ص٢٢٩؛ وقارن ابن خلدون: العبر ج٦ص١٨٩.

(٢) د. أمين الطيبي: بنو هلال، مجلة البحوث التاريخية، مركز جهاد الليبين ضد الغزو الإيطالي، السنة السابعة، العددالأول، يناير١٩٨٥، ص٩٩.

(٣) التيجاني: الرحلة ص ٣٣١.

الحصن من ماء وطعام. فخرج النورمان من الحصن "فتخطفتهم سيوف الأعراب فقتلوا عن آخرهم"[١].

ويذكر ابن الأثير أن صاحب المهدية الأمير الزيري الحسن بن علي استنفر المقاتلة لحماية المهدية "فأتاه من أهل البلاد ومن العرب جمع". ويضيف ابن الأثير أنه لما نازل النورمان الحصن المعروف بالديماس "قاتلتهم طائفة من العرب كانوا هناك"[٢].

وقد نوّه الأمير الزيري بدور القبائل العربية في إحراز النصر ودفع عادية النورمان، فقال في أحد كتبه "فاستظهرنا باستقدام قبائل العرب المُطيفة بنا، فأقبلوا أفواجا أفواجا، وجاءوا مجيء السيل يعتلج اعتلاجا ويتدفق أمواجا، وكلهم على نيات في الجهاد خالصة، وعزمات غير مترددة في مواقف الموت ولا ناكصة... (وعلى أثر نزول عسكر النورمان إلى البر في جزيرة الأحاسي) تسرّع إليهم من جندنا ومن أنضاف إليهم من العرب المنجدة لنا طائفة أوسعت أعداء الله طعنا وضربا، وملأت قلوبهم خوفا ورعبا.. (وبعد احتلال النورمان حصن الديماس) تسربت العرب إليهم من كل فج...)[٣].

وفي سنة ٥٣٧ هـ/ ١١٤٢ م، تعرضت مدينةُ طرابلس الغرب لهجوم النورمان من البحر[٤]، وكادوا أن يستولوا على المدينة لولا النجدةُ السريعة

---

(١) التيجاني: المصدر السابق ص٣٣٦.

(٢) الكامل ج٩ ص٢٢٢.

(٣) التيجاني: الرحلة ص٣٣٧- ٣٣٩

(٤) التيجاني: الرحلة ص٢٤٣؛ ابن غلبون: التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من الأخبار، تحقيق الطاهر أحمد الزاوى، مطبعة الفجالة، القاهرة، (د. ت).ص ٥٥؛ النائب الأنصاري: المنهل العذب فى تاريخ طرابلس الغرب، مطبعة جمال أفندى بدار الخلافة العلية، القاهرة، ١٣١٧هـ، ص١٢٢.

والحاسمة التي وصلت من القبائل العربية الهلالية (زغبة التي كانت قد استقرت في أحواز طرابلس الغرب). ويحدثنا ابن الأثير عن ذلك فيقول: "وفي هذه السنة (٥٣٧ هـ) سارت مراكب الفرنج من صقلية إلى طرابلس الغرب فحصروها. ونازلوا البلد وقاتلوه، وعلقوا الكلاليب في سوره ونقبوه. فلما كان الغد، وصل جماعة من العرب نجدة لأهل البلد، فقوي أهل طرابلس بهم، فخرجوا إلى الأسطول، فحملوا عليهم حملة منكرة، فانهزموا هزيمة فاحشة، وقتل منهم خلق كثير، ولحق الباقون بالأسطول، وتركوا الأسلحة والأثقال والدواب والآلات، فنهبها العرب وأهل البلد، ورجع الفرنج إلى صقلية"[١].وهنا يظهر دور القبائل العربية الهلالية حيث إنها قامت بدور بارز في نجدة سكان طرابلس ودحر المغيرين النورمان[٢]، فرجع الاسطول النورماني يجر أذيال الخيبة والهزيمة.

وفي عام٥٤٨ هـ / ١١٥٣ م حاول رجار الثاني صاحب صقلية الاستيلاء على قلعة اقليبية فلم يستطع، وفي ذلك يقول ابن أبي دينار القيرواني إن صاحب صقلية – وهو رجار الثاني– "نازل قلعة إقليبية فلم يقدر عليها لتجمُّع أكثر العرب فيها"[٣].

---

(١) الكامل ج٩ص٣٢٦؛ وقارن أبو الفداء: المختصر في أخبار البشر، مكتبة المثنى، القاهرة، (بدون تاريخ)، ج٣ ص١٦،

- Setton: A history of the Crusades. Vols. London, 1969. p21–22.
- History.vol. 5 . London, 1936. p189. Cambridge: Medieval

(٢) رمضان المبروك خليفة: العلاقات العربية الصقلية خلال القرنين السادس والسابع الهجريين الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين(٤٨٤-٦٨٢هـ/١٠٩١-١٢٨٤م)، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة محمد الأول، كلية الآداب والعلوم الانسانية، ج٢ ص٣٠٩؛ وقارن رمضان المبروك خليفة: الحملة النورمانية على طرابلس، مجلة البحوث التاريخية، مركز جهاد الليبين، العدد الاول ٢٠٠١م، ص٨٥.

(٣) المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، ص٩٥.

ولقد ورد عند ابن الأثير ما يفيد رفض رؤساء القبائل العربية الهلالية القاطع تلقي معونة من غير المسلمين ضد سلطان مسلم، ففي سنة ٥٤٨ هـ / ١١٥٣ م استولي سلطان الموحدين عبد المؤمن بن علي على بجاية مُنهيا بذلك دولة بني حماد أصحاب القلعة، فأبت قبائل بني هلال النازلة في شرق الجزائر الخضوع لسلطان الموحدين، لأنها كانت تخشى أن يقوم الموحدون بترحيلهم جملة من بلاد المغرب. فعقدت لذلك العزم على الوقوف في وجه سلطان الموحدين، وإخراجه من البلاد وتحالفوا على التعاون والتضافر وان لا يخون بعضهم بعضا، وعزموا على لقائه بالرجال والأهل والمال ليقاتلوه، يقول ابن الأثير: "واتصل الخبر بالملك رجار الفرنجي – صاحب صقلية– فأرسل إلى أمراء العرب وهم محرز بن زياد، وجبارة بن كامل، وحسن بن ثعلب، وعيسي بن حسن، وغيرهم، يحثُهم على لقاء عبد المؤمن، ويعرض عليهم أن يرسل إليهم خمسة آلاف فارس من الفرنج يقاتلون معهم على شرط أن يرسلوا إليه الرهائن، فشكروه وقالوا: ما بنا حاجة إلى نجدته. ولا نستعين بغير المسلمين، وساروا في عدد لا يحصى... وجهز عبد المؤمن من الموحدين ما يزيد على ثلاثين ألف فارس... وكان العرب أضعافهم"[1].

جهادهم في الأندلس قبل قيام دولة الموحدين:

إن أخبار قدوم بني هلال إلى إفريقية وأخبار إقدامهم وبلائهم في القتال قد وصلت إلى بلاد الأندلس. فلما ازداد خطر صاحب قشتالة على ممالك الطوائف في الأندلس بعد أخذه طليطلة، اجتمع مشايخ قرطبة عام ٤٧٩ هـ / ١٠٨٦ م بالقاضي عبد الله بن أدهم، وعرضوا عليه الكتابة إلى عرب إفريقية مستغيثين

---

(١) الكامل ج٩ ص٣٩٠؛ مجهول:الاستبصار في عجائب الأمصار، تحقيق د. سعد زغلول عبد الحميد، مطبعة جامعة الإسكندرية، ١٩٥٨ م، ١٣٠.

بهم حتى إذا "وصلوا إلينا قاسمناهم أموالنا وخرجنا معهم مجاهدين في سبيل الله. قال القاضي: نخاف إذا وصلوا إلينا يخربون بلادنا كما فعلوا بإفريقية.. والمرابطون أنفع منهم وأقرب إلينا"[1].

إن هذه الرواية التي يوردها كل من ابن الأثير والنويري ينبغي أن تؤخذ بتحفظ وحذر شديدين. ففي سنة ٤٧٩ هـ / ١٠٨٦ م كان المرابطون قد أتموا سيطرتهم على المغرب الأقصى وغرب المغرب الأوسط، وكانوا قد وعدوا بنصرة أهل الأندلس بمجرد أن يتحقق لهم ذلك. ثم إن القاضي ابن أدهم – كسائر فقهاء الأندلس– كان يميل إلى المرابطين ويتطلع إلى مجيئهم لما تناهي إلى الأندلس من تقريبهم للفقهاء وتعظيمهم لهم. كما أن المعتمد بن عباد – صاحب أشبيلية وقرطبة– كان على علم بما حلّ بالإمارتين الصنهاجيتين في القيروان وقلعة بني حماد على أيدي بني هلال، فكان يخشى بطبيعة الحال أن يحلّ به نفس المصير لو تم استدعاء تلك القبائل إلى الأندلس. ثم إن سمعة القبائل الهلالية في الأندلس كانت قد شوهتها الروايات المغرضة والمبالغ فيها كثيرا التي أذاعها النازحون عن بلاط بني زيري في القيروان إلى الأندلس كابن شرف، والحُصري والحلواني، والتي نجد صداها في التراجم التي عقدها ابن بسام الشنتريني لهؤلاء الأدباء، وفي الفصل الذي أورده عن قدوم العرب الهلالية إلى إفريقية اعتمادا على تلك الروايات [2].

ومهما يكن من أمر، فإن مجرد تفكير زعماء الأندلس باستصراخ بني هلال

---

(١) ابن الأثير: الكامل ج٨ص٤٥٠؛ النويري: نهاية الأرب ج٢ص١٣٣-١٣٤.

(٢) ابن بسام الشنتريني: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق احسان عباس، الدار العربية للكتاب، تونس،١٩٧٩، القسم الرابع، المجلد الأول ص١٦٩-٢٤٥، ص٢٤٥-٢٨٣،٢٨٤-٣٠٠، القسم الرابع، المجلد الثاني ص٦١٢-٦١٥.

لهو دليل في حد ذاته على أن أخبار كفايتهم القتالية ورغبتهم في المشاركة في الجهاد ضد الروم كانت قد ذاعت في الأندلس بعد فترة قصيرة من وصولهم إلى المغرب. وإن الباحث في تاريخ المغرب في النصف الثاني من القرن الخامس للهجرة / الحادي عشر للميلاد يلاحظ تشابها كبيرا بين العرب الهلالية وبين المرابطين. فهما جماعتان متزامنتان من الرُحَّل الأشداء ذوي البأس والمراس قدمتا من أطراف الصحراء وقامتا بدور خطير في تاريخ الشمال الأفريقي والأندلس لتلك الحقبة. إلا أنه في حين أن المرابطين قُيّض لهم زعامة روحية تتمثل في المصلح عبد الله بن ياسين وزعامة سياسة موحدة تتمثل في أمراء المرابطين، وعلى رأسهم يوسف بن تاشفين، فتمكنوا بفضلهما من تحقيق وحدة الصف والعمل، فإن بني هلال افتقروا إلى مثل هذه الوحدة، مما بدد جهودهم وفرق صفوفهم، وجعلهم عرضة للاستغلال من قبل أمراء الشمال الإفريقي لأغراض هؤلاء الأمراء الخاصة.

أحرز المرابطون في جهادهم في الأندلس انتصارات باهرةً كانتصارهم في وقعة الزلاقة سنة ٤٧٩هـ/ ١٠٨٦م في عهد يوسف بن تاشفين، وفي وقعة أُقليش سنة ٥٠١ هـ/ ١١٠٨م في عهد ابنه علي بن يوسف. وكانت جيوش المسلمين تضم عناصر من المرابطين وأخرى من الأندلسيين، إلا أن مما يلفت النظر أن عناصر من العرب الهلاليين شاركت هي الأخرى في وقعة أُقليش، مما يدل على أن بعض العرب الهلاليين انخرطوا في جيوش المرابطين مجاهدة في الأندلس منذ مطلع القرن السادس الهجري. ويشار إلى هؤلاء العرب في رسالة لأبي الفضل جعفر بن شرف كتبها عن الأمير تميم بن يوسف بن تاشفين قائد الحملة إلى أخيه أمير المسلمين علي بن يوسف في فتح حصن أقليش حيث يقول "فبرز فارس من العرب. فطعن فارسا منهم (الروم) فأذراه من مركبه، ورماه

بين يدي موكبه، فانتهج، ما ارتج، وانفتح المبهم وأفصح المعجم..." [١]. ويصف المؤرخُ الموحديُّ ابن القطان وقعة أقليش بأنها "من غـر الوقـائع وجليلهـا... واستشهد في هذه الوقعة الإمام الجزولي... وجماعة مـن الأعيـان والعربـان رحمهم الله تعالي" [٢].

جهادهم في الأندلس في عهد الموحدين:

لما قامت دولة الموحدين في المغرب الأقصى في منتصف القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي أدرك سلاطينها منذ البداية القيمة القتالية لقبائل العرب الهلالية، فحرصوا على توجيههم للجهاد معهم في الأندلس[٣] التي كان يحيق بها خطر كبير من جانب ممالك قشتالة والبرتغال، ويكونون في الوقت ذاته قد تخلصوا من شغب تلك القبائل عليهم متعاونة – كما حدث أكثر من مرة– مع القائمين على دولة الموحدين كبني غانية الميورقيين، وقراقوش الغزي[٤]، مغتنمين فرصة بعدهم في إفريقية عن عاصمة الدولة في مراكش وانشغال الموحدين في المغرب الأقصى والأندلس.

والمصادر التاريخية العربية حافلة بأخبار الدور الذي قامت به قبائل بني هلال في الجهاد في الأندلس إلى جانب الموحدين، وهي أخبار تشهد بشجاعتهم

---

(١) حسين مؤنس: الثغر الأعلى الأندلسي في عصر المرابطين، مجلة كلية الآداب، جامعة القاهرة، المجلد ١١، الجزء الثاني، ديسمبر ١٩٤٩، ص١٢٩.

(٢) نظم الجمان، تحقيق محمود علي مكي، تطوان،١٩٦٤، ص١٠.

(٣) كان موقف الموحدين كما كان الحال على عهد المرابطين أن الأندلس ثغر للجهاد ضد الدويلات المسيحية هناك، وخاصة ضد مملكة قشتالة وملكها ألفونسو.

(٤) د. هشام ابو رميلة: علاقات الموحدين بالممالك النصرانية والدول الاسلامية في الأندلس، دار الفرقان، الأردن، ١٩٨٤م، ١٤٣؛ د. سعد زغلول عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي (المنصور الموحدي)، منشأة المعارف، الاسكندرية، ج٧ ص٧٣.

واستماتتهم في القتال ذودا عن المسلمين وديارهم.

فبعد أن فرغ أول سلاطين الموحدين عبد المؤمن بن علي من تحرير المهدية من الاحتلال النورماني سنة ٥٥٥ هـ / ١١٦٠ م "جمع أمراء العرب من بني رياح، الذين كانوا بإفريقية وقال لهم: قد وجبت علينا نصرة الإسلام، فإن المشركين قد استفحل أمرهم بالأندلس واستولوا على كثير من البلاد التي كانت بأيدي المسلمين، وما يقاتلهم أحد مثلكم. فبكم فتحت البلادُ أول الإسلام وبكم يدفع العدو منها الآن، ونريد منكم عشرة آلاف فارس من أهل النجدة والشجاعة، يجاهدون في سبيل الله، فأجابوا بالسمع والطاعة"(١). ويذكر ابن صاحب الصلاة أن الأمير أبا يعقوب يوسف كان ينتظر بفارغ الصبر في أشبيلية وصول المدد إليه من المغرب، فعلم أن والده في أحواز فاس "وقد استاق في أتباعه من العرب بني روح وبني جُشم وبني عدي (من بني هلال) وقبائلهم ما يضيق بهم الفضاء، على عدد الذباب وعدد الحصى"(٢).

وعلى أثر قيام ابن مردنيش ومحاولته الاستقلال في شرق الأندلس بمعاونة النصارى، وصل الخليفة الموحدى عبد المؤمن بن علي إلى سلا. وقال ليوسف بن سليمان – من أصحاب المهدي بن تومرت- "ركّب لي العرب، ركّب لي منهم أربعة عشر ألفا وأُعطيك البشارة، فركبهم حتى تخاطفت العربُ على الخيل. ودخل عليه يوسف بن سليمان بالبشارة"(٣).

ولما أراد عبدُ المؤمن بن علي الجواز إلى الأندلس، استنفر أهل المغرب

---

(١) ابن الأثير: الكامل ج٩ص٤٥٠.

(٢) تاريخ المن بالإمامة، تحقيق عبد الهادي التازي، بيروت، ١٩٦٤، ص١٤٤.

(٣) أبو بكر علي الصنهاجي البيذق: كتاب أخبار المهدي بن تومرت، تحقيق عبد الحميد حاجياتن الجزائر،١٩٧٥، ص١٥٠.

عامة فكان فيمن استنفره العرب الذين كانوا بمملكة حماد بإفريقية وهم قبائل من هلال بن عامر "فكتب إليهم رسالة يستنفرهم إلى الغزو بجزيرة الأندلس، وأمر أن تُكتب في آخرها أبيات قالها – رحمة الله– في ذلك المعني ومنها:

اقيموا إلى العلياء هُوج الرواحل وقودوا إلى الهيجاء جُرد الصواهل

وقوموا لنصر الدين قومة ثائر وشدوا على الأعداء شدة صائل

بني العم من عُليا هلال بن عامر وما جمعت من باسل وابن باسل

تعالوا فقد شدت إلى الغزو نية عواقبها منصورة بالأوائل

فاستجاب له منهم جمع ضخم، فلما أراد الانفصال عن الجزيرة رتبهم فيها، فجعل بعضهم من نواحي قرطبة، وبعضهم من نواحي إشبيلية مما يلي مدينة شريش وأعمالها، فهم بها باقون إلي وقتنا هذا – وهو سنة ٦٢١ (١٢٢٤ م)– وقد انتشر من نسلهم نتلك المواضع خلق كثير، وزاد فيهم أبو يعقوب وأبو يوسف حتى كثروا هنالك، فبالجزيرة اليوم من العرب من زُغبة ورباح وجُشم بن بكر وغيرهم نحو من خمسة آلاف فارس سوي الرّجّالة" (١).

وفي وقعة الجلاب قرب مُرسية (٥٦٠ هـ / ١١٦٥ م)، التي هزم فيها الموحدون ابن مردنيش وجموعه من الإفرنج، استشهد سبعة من شيوخ العرب، ويذكر ابن خلدون أن أغلب العرب في تلك الواقعة كانوا من زغبة ورياح والأثبج (٢).

ولما عزم ثاني سلاطين الموحدين يوسف بن عبد المؤمن على الغزو في الأندلس عام ٥٦٦ هـ/١١٧٠م، استدعي العرب وخاطبهم بهذه القصيدة

---

(١) عبد الواحد المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق د. محمد زينهم عزب، طبعة دار الفرجاني،القاهرة،١٩٩٤، ص١٨٩-١٩٠.

(٢) العبر ج٦ص٢٨١

يحرضهم إلى الجهاد، ويستدعيهم إلى العروة العظمي، ويصفهم فيها بما هم فيه من الشهامة والزعامة، ويستقربهم بالقربى التي تجمعهم في قيس عيلان، وأنهم السيف الماضي في نصر الدين وحمايته، وهي من قول طفيل، نجتزئ منها الأبيات التالية:

أقيموا صدور الخيل نحو المغارب لغزو الأعادي واقتناء الرغائب
ألا فابعثوها همة عربية تحف بأطراف القنا والقواضب
أفرسان قيس من هلال بن عامر وما جمعت من طاعن ومضارب
بكم نصر الإسلام بدءا فنصره عليكم، وهذا عوده جد واجب
فقوموا بما قامت أوائلكم به ولا تغفلوا إحياء تلك المناقب

فاستجابت له القبائل العربية في إفريقية والزاب والقيروان، وكان عدد الخيل الواصلة من إفريقية أربعة آلاف فارس، ومن تلمسان ونظرها ألف فارس[1]. ويقول ابن خلدون إن يوم قدومهم على الخليفة في مراكش" كان يوما مشهودا، فأعرضهم وسائر عسكرهم، ونهض الى الأندلس"[2].

ويذكر ابن أبي زرع الفاسي أنه وفد على أمير المؤمنين يوسف بن عبد المؤمن بن علي بمراكش سنة ٥٧١ هـ "أبو سرحان مسعود بن سلطان الرياحي في جيش عظيم من وجوه رياح برسم الخدمة"[3]. ويذكر النويري أن الخليفة يوسف بن عبد المؤمن ظل يجمع العساكر بين سنة ٥٦٨هـ وسنة ٥٧١هـ ويرسلها في كل وقت إلى بلاد الإفرنج، "وكان في هذه المدة عدة وقائع وغزوات

---

(١) ابن صاحب الصلاة: تاريخ المن بالإمامة ص١-٤١٢.
(٢) العبر ج٦ص٢٣٩.
(٣) الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة، الرباط، ١٩٧٢، ص ٢١٢.

ظهر فيها من شجاعة العرب مالا يوصف، حتى كان الفارس من العرب يسير بين الصفين ويطلب مبارزة الفارس المشهور من الفرنج، فلا يبرز إليه أحد ثم عاد أبو يعقوب إلى مراكش" [1].

وفي إحدى الرسائل الرسمية الموحدية المؤرخة في منتصف شوال ٥٧٦ هـ/ ٤ مارس ١١٨١ م، من إنشاء الكاتب أبي الفضل بن طاهر بن محشرة، إلى الطلبة والموحدين والشيوخ والأعيان والكافة بقرطبة، أن أشياخ العرب وأعيانهم من جميع قبائل رياح جُمّعوا، "وعرّفوا أن الغرض فيهم إنما هو غزو الروم الذين بجزيرة الأندلس... ونُدبوا إلى أن ينفروا إلى ذلك بقضهم وقضيضهم... ونفروا إليه بجملتهم من غير استثناء... ولم يبق من جموع رياح كلها على اختلاف قبائلها وتعدد عشائرها واتساع أفخاذها وعمائرها... وكل أظهر من جميل البدار... ما أقر العيون وشرح الصدور وملأ بالبشرى القلوب"[2]. وتضيف الرسالة أنهم قد استصحبوا معهم من تتعلق به الخواطر من أهل وأبناء ونعم وشاء وأن يكون رباطهم في سبيل الله عوضا عن الفتنة والفساد الذي ارتكبوه، وكان ممن حضر معهم الشيخ أبو سرحان مسعود بن سلطان بن زمام الذي خرج بنفسه وأهله وولده، وكلهم رجا أن يختم عمله بالرباط في تلك الجزيرة، محتسبا على الله بنفسه...حتى يمحو ما سلف" [3]. واعتبر الخليفة أنه لو لم يكن في حركة الجهاد إلى الاندلس إلا ما كان من أمر العرب وكف أيديهم عن البلاد وصرفهم إلى الجهاد وطاعتهم بعد أن كانوا لا ينقادون لأحد لكفته

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب ج٢٤ ص ٣٢٤.

(٢) مجموع رسائل موحدية من إنشاء كتاب الدولة المؤمنية، اعتنى بنشرها ليفي بروفنسال، الرباط، ١٩٤١، الرسالة السادسة والعشرون ص١٤٩- ص ١٥٣. ولم يتخلف عن ذلك إلا من سكن من قبائل سليم بجهات برقة وطرابلس والاسكندرية.ص١٥٦.

(٣) المصدر السابق ص١٥٤ - ١٥٧.

دليلا على أن هذا الأمر مؤيد من الله.

ولما اعتزم الخليفة أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن على معاودة الجهاد في الأندلس سنة ٥٨٠ هـ، ونهض إلى سلا، وأفاه بها أبو محمد بن أبي إسحاق بن جامع من إفريقية بحشود العرب [١]. وأمر الخليفة الناس بالجواز "فجازت قبائل العرب أولا، ثم قبائل زناتة ثم قبائل المصامدة...وأصناف البربر، ثم جازت جيوش الموحدين والأغزاز..." [٢]، لغزو مدينة شنترين من بلاد غرب الأندلس[٣].

ولما سقطت مدينة شلب بغرب الأندلس في يد صاحب البرتغال بمساعدة الصليبيين عام ٥٨٥ هـ/ ١١٨٩م، جهز أبو يوسف يعقوب المنصور حملة كبرى لاستردادها، فاستنفر الموحدين "وإخوانهم العرب – وفقهم الله-... فبادر كلهم بنيات صادقة وعزائم إلى اغتنام الأجور مسابقة"[٤]. ويذكر ابن أبي زرع الفاسي أن المنصور سير في تلك الحملة جيشا من الموحدين ومعهم جمع كثير من العرب، ففتح بهم أربع مدن كان الفرنج قد دخلوها. وهي شلب، وباجة، ويابرة، وقصر أبي دانس[٥].

---

(١) ابن خلدون: العبر ج٦ص٢٨٦.

(٢) ابن أبي زرع الفاسي: المصدر السابق ص٢١٤.

(٣) عبد الواحد: المعجب ص٢١٥؛ ابن خلدون: العبر ج٦ص٢٨٦؛ ابن أبي زرع: روض القرطاس ص٢١٤، ومات الخليفة يوسف بن عبد المؤمن في طريق العودة الى بلاد المغرب متأثرا بجراحه وكتم ابنه موته حتى وصل مدينة سلا.

(٤) مجموع رسائل موحدية: الرسالة الرابعة والثلاثون ص٢٢٠؛ عبد الواحد المراكشي: المعجب ص٢٣٢.

(٥) روض القرطاس ص٢١٩ ؛ ابن الأثير: الكامل ج١٢ص٣٧؛ السلاوي: الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق ولدي المؤلف، دار الكتاب، الدار البيضاء، ١٩٥٥، ص ١٧٤؛ وقارن: مجموع رسائل موحدية ص٢٢٦.

إن أكبر عزوات المنصور في الأندلس الغزوة التي تكللت بالانتصار في وقعة الأرك عام ٥٩١ هـ/ ١١٩٥م على حلف كبير على رأسه صاحب قشتالة، وكان لقبائل العرب الهلالية دور في إحراز ذلك النصر العظيم يذكره ابن أبي زرع الفاسي فيقول: "فكان أول من جاز البحر قبائل العرب ثم قبائل زناتة". وقبل اللقاء، استشار المنصور رؤساء القبائل اتباعا لأمر الله تعالي، واقتداء بسنة رسول الله صلي الله عليه وسلم... فدعا أولا أشياخ الموحدين فاستشارهم، ثم أشياخ العرب، ثم أشياخ زناتة". تم عقد الرايات لأمراء القبائل، لكل أمير راية[١]. ولما لزمت كل قبيلة رايتها، "خرج جرمون بن رياح أمير العرب يمشي بين صفوف المسلمين، ويقوي قلوب المجاهدين، ويتلو هذه الآية (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) [٢]، (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُم)[٣]. وأقبلت قبائل العرب والأغزاز فأحاطت بالنصارى. ولما انسحب النصارى إلى الربوة التي بها ألفونس ليعتصموا بها، وجدوا عساكر المسلمين قد حالوا بينهم وبينها، فرجعوا على أعقابهم، فرجعت عليهم العرب وهنتاتة والأغزاز والرماة، "فطحنوهم طحنا، وأفنوهم عن آخرهم"، وأسرعت خيل من العرب إلى أمير المؤمنين... وقالوا له: "قد هزم الله تعالي العدو" [٤].

ولكن كانت تحدث بعض الخروقات وعدم الالتزام من جانب العرب الهلالية

---

(١) ابن أبي زرع: روض القرطاس ص٢٢٦. وكانت راية المنصور في أولها وهي راية بيضاء، مكتوب عليها:" لا إله إلا الله. محمد رسول الله. لا غالب إلا الله".

(٢) اية ٢٠٠ سورة آل عمران.

(٣) اية ٧ سورة محمد.

(٤) ابن أبي زرع: المصدر السابق ص٢٢٠- ٢٢٧..

أثناء المعارك ففي سنة ٥٩٢هـ/١١٩٦م انتقل ميدان القتال بين الموحدين وألفونس إلى أرض قشتالة [١]، ووصل زحف الجنود المسلمين إلى قلعة انطاش الحصينة وضربوا حولها الحصار، فطلب النصاري الأمان على الشروط المعتادة من ترك المكان والخروج إلى بلادهم، وعندما أتتهم الموافقة استسلموا للمنصور، الذي سأل عن الوسيلة الفضلى لتنفيذ الاتفاق، وسير القائد ابا عبد الله بن صناديد في صحبة الأسرى ليضمن وصولهم إلى أرض النصارى بأمان، ولكن وقع حادث مزعج، اذ انقضت جماعة من العرب غدرا على المسيحين فقتلوهم حتى آخرهم، واستولوا على نسائهم وأطفالهم [٢]. واغتاظ المنصور لهذا العمل وخرق الاتفاقية غير المشرف، وسار بنفسه لمعاقبة المسئولين فقبض عليهم وألقاهم في السجن، واستعاد النساء والأطفال المأسورين وأرسلهم إلى بلادهم [٣].

---

(١) رسائل موحدية ص٢٣١.

(٢) ابن عذارى: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب (قسم الموحدين) تحقيق محمد ابراهيم الكتاني وآخرين، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ص ٧٤.

(٣) المصر السابق: نفسه.

ملخص البحث:

يتناول البحث دور العرب الهلالية في الجهاد ضد الروم والافرنج دفاعا عن أرض الإسلام والمسلمين؛ مما يدحض التهمة التي نسبها بعض الباحثين لهذه القبائل من ضعف شعورها الديني، ويمكن إثبات هذا الدور من خلال الحديث عن العناصر التالية: الأول منها جهاد الهلالية فى إفريقية، فقد كان للهلالية دور في التصدي للمغيرين على المهدية، وجزيرة الأحاسي، وحصن الديماس، وطرابلس الغرب، وقلعة اقليبية.

والعنصر الثاني: جهاد العرب الهلالية في الأندلس، حيث كان لزيوع أخبار الهلالية في الاندلس وكفايتهم القتالية ورغبتهم في المشاركة في الجهاد ضد الروم أثر في حرص المرابطين على إرسالهم لبلاد الأندلس فشارك العرب مع المرابطين في جهادهم فى الاندلس وانتصارهم في وقعة أقليش.

أما عن جهاد الهلالية في عهد الموحدين فقد أدرك سلاطينهم منذ البداية القيمة القتالية لقبائل العرب الهلالية، فحرصوا على توجيههم للجهاد معهم في الأندلس التي كان يحيق بها خطر كبير من جانب ممالك قشتالة والبرتغال؛ والمصادر التاريخية العربية حافلة بأخبار الدور الذي قامت به قبائل بني هلال في الجهاد في الأندلس إلى جانب الموحدين، وهي أخبار تشهد بشجاعتهم واستماتتهم في القتال ذودا عن المسلمين وديارهم.

المصادر والمراجع

أولا: المصادر

١. ابن الأثير: عز الدين أبو الحسن على بن أبى الكرم عبد الواحد الشيبانى (ت ٦٣٠هـ/١٢٣٢م).

الكامل فى التاريخ، تحقيق الدكتور. محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ١٩٨٧م.

٢. ابن بسام الشنتريني

الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق احسان عباس، الدار العربية للكتاب، تونس،١٩٧٩م.

٣. البيذق: أبو بكر علي الصنهاجي (كان حيا في النصف الثاني من القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي)

كتاب أخبار المهدي بن تومرت وابتداء دولة الموحدين، تحقيق عبد الحميد حاجيات الجزائر،١٩٧٥م.

٤. التيجانى: أبو محمد عبد الله محمد بن أحمد التيجانى (ت ٧١٧هـ/١٣١٧م).

رحلة التيجانى، قام بها فى البلاد التونسية والمغربية من سنة ٧٠٦هـ إلى سنة ٧٠٨هـ، دار الفرجانى للنشر والتوزيع، طرابلس، ليبيا، (د. ت).

٥. ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمى (ت ٨٠٨/١٤٠٥م).

تاريخ ابن خلدون المسمى كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر فى أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

٦. ابن أبى دينار: أبو عبد الله محمد بن أبى القاسم القيروانى (ت

١٠٩٢هـ/١٦٨١م)

المؤنس فى أخبار أفريقية، تونس، تحقيق محمد شمام، المكتبة العتيقة، تونس، الطبعة الثالثة، ١٩٩٣م.

٧. **ابن أبى زرع: أبو الحسن على بن عبد الله بن أبى زرع الفاسى (ت ٧٢٦هـ/١٣٢٥م).**

الأنيس المطرب بروض القرطاس فى أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة، الرباط، الطبعة الأولى، ١٩٧٢م.

٨. **السلاوى: أبو العباس أحمد بن خالد الناصرى السلاوى (ت ١٣١٩هـ/١٩٠١م).**

الإستقصار لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق ولدى المؤلف الاستاذ جعفر الناصرى، والاستاذ محمد الناصرى، دار الكتاب، الدار البيضاء، ١٩٥٥م.

٩. **ابن الشماع: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن الشماع (ألف كتابه سنة ٨٦١هـ/١٤٥٧م).**

الأدلة البينية النورانية فى مفاخر الدولة الحفصية، تحقيق الدكتور الطاهر بن محمد المعمورى، الدار العربية للكتاب، طرابلس، ١٩٨٤م.

١٠. **ابن صاحب الصلاة: عبد الملك بن محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم الباجى (ت ٥٩٤هـ/١١٥٩م).**

المن بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم أئمة وجعلهم الوارثين، دار الأندلس، بيروت، الطبعة الأولى،١٩٨٣م.

١١. **ابن عذارى: محمد بن عذارى المراكشى (ت نهاية القرن السابع الهجرى / ١٣م).**

البيان المغرب فى أخبار الاندلس والمغرب، تحقيق ليفى بروفنسال، الطبعة الثالثة، الدار العربية للكتاب، بيروت، ١٩٨٣م.

البيان المغرب فى أخبار الأندلس والمغرب، (قسم الموحدين)، تحقيق محمد إبراهيم الكتانى وآخرين، دار الغرب الإسلامى، بيروت، لبنان، (د.ت).

١٢. **ابن غلبون: أبو عبد الله محمد بن خليل بن غلبون (من علماء القرن ١٢هـ/١٨م).**

التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من الأخبار، تحقيق الطاهر أحمد الزاوى، مطبعة الفجالة، القاهرة، (د. ت).

١٣. **أبوالفدا: عماد الدين اسماعيل بن محمد (ت ٧٣٢هـ/١٣٣١م).**

المختصر فى أخبار البشر، المعروف بتاريخ أبى الفدا، دار المعرفة، بيروت، لبنان، (د.ت).

١٤. **ابن القطان: كان حيا في منتصف القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي)**

نظم الجمان، تحقيق محمود علي مكي، تطوان،١٩٦٤م.

كتّاب الدولة المؤمنية: فى عصر دولة الموحدين.

مجموع رسائل موحدية من إنشاء كتاب الدولة المؤمنية، جمع وإصدار ليفى بروفنسال، مطبوعات معهد العلوم العليا المغربية، ١٩٤١م.

١٥. **مجهول: كاتب مراكشى من كتاب القرن السادس الهجرى / ١٢م.**

كتاب الاستبصار فى عجائب الأمصار، وصف مكة والمدينة ومصر وبلاد المغرب، تحقيق الدكتور. سعد زغلول عبد الحميد، مطبعة جامعة الاسكندرية، ١٩٥٨م.

١٦. **مجهول:**

نبذة تاريخية فى أخبار البربر، تحقيق ليفى بروفنسال، رباط الفتح، ١٩٣٤م.

١٧. **المراكشى: عبد الواحد بن على التميمى (ت ٦٦٩هـ/١٢٧١م).**

المعجب فى تلخيص أخبار المغرب، تحقيق د. محمد زينهم محمد عزب، دار الفرجانى، القاهرة، (د.ت).

١٨. **المقريزى: تقى الدين أحمد بن على المقريزى (ت ٨٤٥هـ/١٤٤١م).**

اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، تحقيق الدكتور. محمد حلمى محمد أحمد، طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.

١٩. **النائب الأنصارى: أحمد بك بن الحسين النائب الانصارى الطرابلسى (ت ١٣٣٥هـ/١٩١٤م).**

المنهل العذب فى تاريخ طرابلس الغرب، مطبعة جمال أفندى بدار الخلافة العلية، القاهرة، ١٣١٧هـ.

نفحات النسرين والريحان فيمن ملك طرابلس من الأعيان، تحقيق على مصطفى المصراتى، منشورات المكتب التجارى للطباعة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٦٣م.

٢٠. **النويرى: شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويرى (ت ٧٣٣هـ/١٣٣٢م).**

نهاية الأرب فى فنون الأدب، تحقيق الدكتور. حسين نصار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

ثانيا: المراجع

٢١. **ألفرد بل**

الفرق الاسلامية في الشمال الافريقي من الفتح العربي حتى اليوم، ترجمة عبد الرحمن بدوي، طبعة دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة ١٩٦٩م.

٢٢. **حسين مؤنس**

الثغر الأعلى الأندلسي في عصر المرابطين، مجلة كلية الآداب، جامعة القاهرة، المجلد ١١، الجزء الثاني، ديسمبر ١٩٤٩م.

٢٣. **سعد زغلول عبد الحميد**

تاريخ المغرب العربي (المنصور الموحدي)، منشأة المعارف، الاسكندرية

٢٤. **هشام أبو رميله**

علاقات الموحدين بالممالك النصرانية والدول الإسلامية فى الأندلس، دار الفرجانى، عمان – الأردن، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

ثالثا: الدوريات

٢٥. **أمين توفيق الطيبى**

بنو هلال، مجلة البحوث التاريخية، مركز جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالى، السنة السابعة، العدد الأول، يناير ١٩٨٥م.

٢٦. **حسن على حسن**

الغزو الهلالي للمغرب أسبابه ونتائجه، المجلة التاريخية المصرية، المجلد الرابع والعشرون،١٩٩٧م.

٢٧. **رمضان المبروك خليفة**

الحملة النورمانية على طرابلس (٥٤١-٥٥٣هـ/١١٤٦-١١٥٨م) مجلة البحوث التاريخية،مركز جهاد الليبين، ليبيا، العدد الأول، يناير ٢٠٠١.

رابعا: الرسائل العلمية

٢٨. رمضان المبروك خليفة

العلاقات العربية الصقلية خلال القرنين السادس والسابع الهجريين الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين(٤٨٤-٦٨٢هـ/١٠٩١-١٢٨٤م)، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة محمد الأول، كلية الآداب والعلوم الانسانية.

٢٩. طاهر راغب حسين

دور القبائل العربية بالمغرب العربي منذ المسيرة الهلالية حتى نهاية حكم الموحدين، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة،١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

خامسًا: المراجع الأجنبية:

30. **Cambridge:**
History.vol.5.London,1936. Medieval

31. **Setton:**
A history of the Crusades.3Vols.London, 1969.